

# لماذا يتدعى العر؟

بقلم عزيز السيد جاكم

لان الشعر ليس ( موضة ) موروثة ولا وسيلة دعائية او جوابا لطلب خارجي ، بل هو خلاص وتكشف مستمر وغير محدود . ذلك الكشف الذي اراده ( انطون آر تو ) في قوله : ( حيث يريد الآخرون بناء اثار لا اطمح أنا الا الى اظهار روحي ) . وان تأكيد القيم الإنسانية من خلال المصطلح الشعري هو التقاط واع مخلص لكل القيم التي كانت وتظل الصدى في دروب الانسان وصراعاته المستمرة .

ان عالما بدون قيم هو وبالاساس عالم يهدد لقيم خطرة وحيوانية شرسة . والبديل الوحيد لفقدان القيم هو السلوك والاستحواذ البربريان . وهنا السر في فداسة القيم على اعتبار انها مصطلحات انسانية عميقة الجذور وفاعلة تشكل ادوات استعمال الانسان الايجابي والحضاري . وهذه القيم ، وبفعل من التراكم القيمي والامتدادات الزمنية ، تتعرض الى تغطية تراثية وتفقد بربقها الربط مباشرة بشروطه المرحلية لا غير . .

لذا فان مسألة تأكيد القيم هي غريزة لهذه القيم واعادة عرض . والشعر نفسه ، على اعتبار انه صعود وتسام فوق التقليديات الموروثة والخطوط المتشابكة الاكثر تجمدا وسوادا واقصيا ، يسهم باضاءة كلية في اخفاء شروق جديد على القيم المناسبة . وهذه القيم ليست كما يتصور لاول وهلة ، قيما الزامية او موانيق اخلاقية او ايدولوجية بل- انها تلمس انساني يتبرعم في اكمل حالات الحرية والصفاء التي يعيشها الشاعر ساعة التوالد الشعري المفوي .

ان العملية هي عملية تكشف منذ البدء حيث ان الشاعر لا بد ان ينطلق من حقيقة او من وجود موضوعي مع ذاتيته . ولهذا فليست القصيدة صحيحة تقذفها دار خربة ، انها العطاء الذي يمنحه الانسان الاكثر تشوقا لمعرفة نفسه ، تلك المعرفة التي قصدها ( بيتس ) عندما قال : ( لماذا تمجد اولئك الذين استشهدوا في ساحة القتال ، ان الانسان قد يبدي شجاعة مماثلة وهو يخترق افوار نفسه ) .

لذا فالتكشف هو مجاهدة وتعربة حقيقية وازاحة الالتباسات وموروثات كثيرة ، انه محاولة الوصول الى النقاء الابدي . وعبر هذه المحاولة تستلم ذات الشاعر اسمها الحقيقي . . وهنا يبرز التساؤل: هل ان الشاعر صاحب حقائق جاهزة ؟ وهنا تتعقد القضية نوعا ما ، فالشاعر لا يتكلم عن حقائق ومعلومات منظمة ويقينية . انه لا يتكلم بلهجة العلم الطبيعي او الرياضي حتى وان أكد على حقيقة يتفق فيها معهما . الحقائق بالنسبة للشاعر عالم خاص يقترب ويتعد عنه ، او يدخل فيه ، ويتعامل معه برفق وهدهوء ، او بحدة وغضب ، بموضوعات جاهزة او مقلوبة . حيث لا مجال هنا لاية اصولية تفرض على الشاعر التزامات مقيدة .

لذا فالشاعر عندما يريد ان يقدم عطاءه الشعري انما يؤكد انه مزيج بين المعرفة والجهل ، المعرفة الجيدة الواضحة والجهل المسقط في يده . فالشاعر يعرف مواقفه ومنطلقاته ، ويعرف جيدا كل أدواته ولكنه في نفس الوقت يجهل كيف يكون الانسان - اللوغوس ، كيف يربط بين فردوس امثل لا وجود له الا في مخيلته وبين عالم ارضي ملوث ؟ كيف يحقق كسفا ناقبا لذاته في عالم يتعقلن بالية غريبة ، في حين انه يتمرد بين الحين والحين على هذه العقلنة وعالم العقوليات ؟ المهم في المسألة كلها ان الشاعر يتكشف باستمرار ويتصل باستمرار اكثر بعالم من الرؤى ، خلاله يبحث عن

في علاقة الانسان بالكون تتواجد تعبيرات انسانية عديدة تعكس نوعية العلاقة وتمثل التجاوب بشكل او بآخر ، بين الذات والعالم . والانسان عندما يخلق تاليقاته الخاصة انما يقرر مبدآساسيا هو حتمية استحصال حقائق مهياة وبشكل فني لتوفير مكانة لائقه به . وحيث تتأكد ترجمة هذا المبدأ تتحول كل التصرفات والمعارف والحدوس الى تنقيب بطولي عن جذور الاشياء ، واحتمالات المواقف واعطاء الاجوبة لكل الاسئلة بشكل جاهز او مؤجل .

ان البحث عن الحقائق هو بالاساس اقرار بوجود مجاهيل كثيرة . ان التعميمات والاسرار وسيولة الاشياء ومسائل المصير ، تفرض على الانسان ان يختار سبلا متعددة في بحثه الجاد هذا . وهنا تتعيقن وضعيتان انسانياتن تماما . فالانسان يغير عالمة بفعل من استعمال ادواته المتجددة يفرض ان يستوفي شروط حياة اكثر اشراقا ، وهو أيضا يتغير ضمن كل هذه العملية . وانطلاقا من وضعية الانسان هذه في بحثه وتغيره وقابلياته يبدو الشعر كلفة جديدة يتفاهم بها الانسان مع نفسه او مع العالم .

ان كون العالم حاملا لفرائب كثيرة وملغما في منحنيات عديدة ، وكون الانسان نفسه مشدودا بين اقطاب كثيرة تتنازع ذاته ، انما يبرر كل التجديبات والنظورات في لغة التفاهم بين الذات والكون . لذا فلفة الشعر هي لغة لا تخضع ابدا لانماط وقوالب معينة . ان النمطية قد تصح مثلا في ضروب اخرى من النشاط البشري ، ولكنها لا تتفق مع الشعر .

ان الشعر هو ثورة مستمرة وتحطيم كلي لكل حواجز اللغة . وحيث ان اللغة نفسها نشأت كنشاط فني ، فهي ترتبط مع الفن طبيعيا وعضويا ، وقد بين ذلك ( كروتشه ) جيدا ، فاللغة منذ البدء هي تشكيلية شاعرية ، وجهد الانسان البدائي من اجل ايجاد الكلمات ( كان جهدا معرفيا وشاعريا ، لان موسيقى الحروف ( حيث لكل حرف صوت منغوم ) هي روح شعرية بدائية . وبقدر ما تتغير اللغات وتتجدد ، وتتعدد اللهجات تظل القصيدة دائما تحققت لثورة وتمردني . اي انها تمرد لحظي متواتر من اجل اذابة اي فرق بين(الكلمات)) (و(الدليل) . ان هذه الحركة في القصيدة ليست حركة صارخة بل هي حركة خفية جدا وراء سطح الكلمات حيث تسعى المصاميمن والتأملات والاسئلة والاجوبة لاملان نفسها نازعة كل ثقل وسطوة اللغة وموفرة لها وجودا جديدا . ان ( اليوت ) في جرأته النادرة على (تحدي اللغة ) وزحزحة مواقعها لم يك هادفا في ذلك اثاره ضجة ، بل كان يمثل صراعا بينه وبين قصيدته . ان قانون القصيدة والجو الذي يحياه الشاعر ساعتئذ في استهلاك ( التأسوت ) والاتحاد الصوفي الكلي بالرؤى ، هو نفسه يفرض على اللغة طلبات جديدة والقضاء للمعوقات اللغوية ذات السلطة الطويلة الاملد .

ان جو القصيدة السكوني والمحفوظ باطار وقاري مهيب في بعض القصائد الكلاسيكية يقدم دليلا على جودة في الصنعة ولكنه لا يتعامل كشعر . فالقصيدة تعكس تماما الحركة الداخلية والحيوية حيث يتضح ( النفي ) قانونا خطيرا في عالم مقعد . وهي هنا في مناضلتها المستمرة ضد صلابة الكلمات وعدم الطواعية ويوسية المصطلحات اللغوية انما تمثل حرية كاملة ، لذا فليس من المتقول ان يسمى القصيد المشهور ضمن مذهبية متحجرة وانماط مفروضة شعرا .

صورته الحقيقية وصوته الحقيقي .

وهذا الكشف نفسه ليس معزولا عن شروطه الاصلية ، انه استكشاف للعالم ايضا . اي انه التلاحم بين استكشاف الذات وتلمس حدودها ومعرفة جنورها ، وجسدها ، ونوافذها ، وبين العالم ، هو تلاحم طبيعي تماما . وان مسألة من اين الابتداء او اعطاء حدود شكلية تفريقية تعزل الذات عن العالم ، والعالم عن الذات هي مسألة اضطرارية تنهافت امام ابسط استقراء لقضايا الانثروبولوجيا والتكون الانطولوجي .

## الشعر : استئناف ضد العالم

ان ما يشير اعصاب الشاعر هو ان هذا العالم يحيا بلا عقل ، وباسم اكثر الاساليب عقلية تتم ابادته الانسان بالتأمر على حريته . واذا يبدو هذا البناء الحضاري الشامخ الجيد منحورا ، وحيث تم اغلب الصفقات الدنيئة على حساب الانسان وشرفه فان الشاعر يجد نفسه منتصبا متحديا . والتحدي ليس تلاوة وثيقة او بيان ، انما هو رفض كلي لواقع فاسد ، يعلن نفسه في كلمات الشاعر . وهذه الكلمات هي المسدسات المحشوة بالرصاص والتي تقدم احتجاجا ساخطا يدين اللؤم البشري . ان ابتعاد الشاعر ضمن مسافة بينه وبين العالم واستغراقه في رؤياه الشعرية يحمل في جوهره فصحيا للحرية . وان الانقلاب الذي عاشه الشاعر - اي شاعر - يرسم نفسه بتوتر انعكاسي حيث يسقط نور الالفاظ الشعرية على النقطة السوداء الفاسدة ليمنح للقراء والتأملين حدودا جديدة اوسع لرؤيا كاشفة .

ان الترتيب الذي يخلق نظاما متشابها تتحول نظاميته الى اغلال تضايق الحرية الانسانية ، وبفعل من حقيقة ان الشاعر حرية مطلقة في حدود نسبية فهو يتنهد ضد مثل تلك التوضعات الجائرة . لذا فان الشاعر يعبر عن تحدياته ورفضه للزوجة الشبيهة ونظامية العقل الثقيلة وبفكك وحدات العالم لكي يحقق اختراقا مقاميرا مندفعما الى لا نهائية عنيدة . ان الشاعر كمتعرض على موجودات اكثر ثقلا واكثر جورا ، يستأنف نشاطه الرفض باعادة تشكيل العالم . فهو بعد ان فككه استغرق في محاولة تأملية لخلق من جديد . وحيث ان الشاعر في عمليته تلك لا يستطيع ان يقدم تشكيلة فنية مرغوبة من مواد فعلية واشياء حاضرة ، بل ينجز امكانية واحدة هي امكانية رسم تشكيلة مشرقة من مجموعة صور ورموز ذات دلالات ، فمعنى ذلك ان الشاعر يكتب في أعماقه تناقضا رئيسيا .

وهذا التناقض قد يبرر بكونه امكانية موضوعه بهذا الشكل ، او يكون مجرد احتمال . لماذا ؟ لان الشاعر يوهننا بتحرره النهائي من تأثير الاشياء الدائرة به ، وانتقاله الى عالم جديد يزدهي صفاء وبهجة ، فيرتب لنا صورا تعكس عالمه الذي احتفى به ، ولكنه يصدمنا عندما يعود من جديد ويرتمى في حضن الاشياء . وبذا يبرز البعد المأساوي كخط ينتظم احيانا اعمال الكثير من الشعراء . ان الاشياء اصلب منا واخلد ، هذا هو ما يقذف الشاعر الى هوة عميقة . ولكن الشاعر لا يرتضى الصمت فهو اذن يبدأ استئنافه من جديد ، وفي ميلاد كل قصيدة مؤكدا حريته . وهذه الحرية كتكشف وانزاع مستمر تصطبغ باسيجة عديدة . وعندما تكون هذه الاسيجة اصطناعية بدعوى من اضطهادات قائمة او اختلالات في الوعي ، تتعين هذه الحرية بمجموعات شعرية مشحونة بتمرد ثوري وزخم يستهدف ازالة المواقع المؤتلفة مع الوضع الانساني . وهنا يكون هذا الاستئناف بطوليا وفاعلا على اعتبار انه وثيقة ادانة وشاهد حتمية افلاس وضع غير مشروع . انه اسهام والتزام يتوضح عبر مسؤولية لا يمكن الهياد عنها . ان قصيدة الشاعر ( روبرت ا. هايدن ) مثلا والتي يقول فيها:

( انني ارى الافا من العيب

ينهضون

من القبور المسبية

ومن جراحتهم تسيل السنة الذهب

حتى ارض العبودية

وسلاسلهم تهز ( يكسي )

في قصف شبيه بالرعود

( جبرائيل ، جبرائيل ، الا ترى الا تسمع ؟؟ )

ان النهاية قريبة

فماذا تمنى ؟

قل قل قبل ان تموت

انك تريد ان ترضع الثورة

من ندي الام العبد

لان الزوج لن يرتاحوا طالما ان للعبودية دعائم

فحظوها واتركوها ذرات غبار

اما سلاسل العبودية

فيجب ان ياكلها الصدا . )

او قصيدة ( شفق فاسيلي ليفسكي ) ل ( بوتيف ) :

( انني اعرف ، آه اعرف انك تبكي يا وطني

لانك في اسرك العبودي

انك تبكي لان صوتك الالهي

هو صوت يائس يدوي في صحراء . )

او ( الى حبي الاول ) :

( فلتفتي لي ، يا فتاتي الرقيقة

فلتفتي لي افنية الحزن هذه !

كيف يتلاقى الاخوة في كراهية ،

وكيف نفقد نحن شبابتنا وقوتنا وعقيدتنا

فلتفتي كيف تصبح الارامل الوحيدات

وكيف يموت الاطفال من غير بيوت ! )

انما تتمثل خلالها وخلال آلاف القصائد سواها المسؤولية الابدية ، هذه المسؤولية التي تتوزع عبر المواقف والمشاهد وغير حلقات الزمن التاريخي .

وعندما تكون الاسيجة التحدي والتي تقف وجها لوجه امام حرية الشاعر ، اسيجة الكون الازلي الذي يلتهم بشراهة ملايين الملايين من الاجساد ، فهنا يبدو استئناف الشاعر غضبا او تشاؤما او استسلاما منتكسا . اي ان الحرية ( حرية الشاعر ) التي اختارت طريقها في جو من الاطلاقية والايورية تختار فيها . اي تختار ( الاحرية ) مع ( البيوت ) :

( هكذا ينتهي العالم

هكذا ينتهي العالم . هكذا ينتهي العالم

لا برجة عنيفة وانما بنواح خافت )

وعند هذه التجربة - تجربة الوحدة امام الكون - تتساقط حريات كثيرة في الفخ كمقدمة للسقطة الابدية . وقليلون اولئك الذين لم يسمحوا للقدم ان يطأ عتبة جبهاتهم ويخذلهم ، فقدموا ارواح استشهد عبر الاصرار الذي يؤرخ عظمة الانسان .

وبين السقطة والاصرار يظل الاستئناف قائما ، لانه حركة تمثّل النقيض المقابل لعالم موجود ، أي انه ( لا ) الضرورية لبقاء ( نعم )

## منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجدار

# عزير انيس تانا

بكاينة حزيان ٦٧

يجف على شفة الصيف  
ألف انتظار ،

وجوب المواسم يحصد اشواقنا فنبكي ،  
وتشرق أعيننا بالبكاء  
ولا دمعمة . . . .

تبل مشارف احفاننا

ونلهث . . . . نلهث عبر دروب الرماد  
و« سيزيف » ربّ تقمّص اجسادنا  
كبا الفجر ،

ماتت بأعماقنا هبة الشمس ،

فوق ضجيج المرايا

تكر ظلّ ابتساماتنا

وينتحر الصوت

في هداة الكهف

من وجع الصمت

تبجّ الحناجر ، ينهار شوق انتظار الصدى

فارس حزيان ٦٩

صلبت على مقليّ ارتحالي ، انتعلت الرياح  
أبيت :

نواء الجذور . . .

مخاض انتظار على شفيتين

أبيت :

وصوت ( الخزاعيّ ) ( ١ )

شقّ امتداد المفازات :

( يائثار الحسين . )

« لهات الاعثة افتضّ شوق الصحارى

لوقع السنابك

توحمت الارض ، اتخمت بالجراح

أبيت :

( رؤوس الرماح

لاذهب للفيظ ) ( ٢ ) جرحي ينزّه . . ينزّه

وتعلو البيارق

أبيت : على شفتيّ اخضرار البشاره :

« عروق الرماد

تجوع لجمر احتراق ( الفيانق ) . . ( ٣ )

عبدالخالق الركابي

بغداد

( ١ ) سليمان الخزاعي اول نائر طالب بدم الحسين

( ٢ ) البيت لابي الطيب التنبي

( ٣ ) الفينق : عنقاء مغرب التي تحرق نفسها

في الصحراء العربية لتبعث من رمادها مرة ثانية

العالم الآلية . ولكن الشاعر لا يمكن ان يدور لصيقا باستثناف سلمي بل انه يخطو عبر دفق حي تهيله الاعماق مسن اجل ان يغير التركيب القائم . ان كلمات الشاعر لا تذهب ادراج الرياح ولا يمكن ان تزخرف بناء موهوما . بل انها تقاوم رصف المسوخات لتخارب المسوخية وتحرر الوحدات الطبيعية والانسانية لتوحدها فسي عالم جديد . ان الشاعر اذن ، وبمجرد ان تفتح الحواجز امام رؤاه ، يتحول الى خالق . وهذا الخلق الفني المثل باروع الصور والاخيلة والموسيقى اللفظية لا يمكن ان نجرده من اية مسؤولية على اعتبار ان جذره - اي جذر العطاء - ممتد الى عمق موغل في المسافات .

ولكونه متعلقا بتربه فان كل الرؤى المحلقة والرومانسية هسي مشدودة الى بعد بؤري تنقاس عليه كل الترابطات والتشكيلات . ولكن مسألة تبرز بصرامة ومن جديد : هل ان امكانية الشاعر وبهذا القياس تظل رهن الاعتقال ؟ . . اي محكومة بان لا تنفلت من أسر الارض والواقع ؟ وهنا لا بد ان نقول : لا . امكانية الشاعر ليست كامكانية الناثر . الناثر يكون مباشرا ، ويدعم عضده القاريء او المستمع التلقني والذي يتجاوب مع الناثر على ضوء قاسم مشترك من المفاهيم والعبارات والمتركات التي تعطي علامات على الدرب من اجل الوصول الى غاية الناثر او القاريء . في حين ان الشاعر يختار ادواته ووسيلته لا من اجل ان يتجاوب مع العالم بل من اجل ان يتجاوب مع ذاته . اي انه يبحث عن العالم بافتراض ان لا عالم يتدخل في وعيه الرؤيوي . ان هذا الافتراض ( ان لا عالم سوى عالم الشاعر المنفرد ساعة ميلاد القصيدة ) هو نفسه الطريق الوحيد الذي لا يغمط حق الشاعر في تسيحاته الصوفية وكذا لا يقطع المردود الذي تقدمه القصيدة في العالم ومن اجل العالم . لذا فالشعر هو عملية فرار من الواقع وعودة الى الواقع ، ومزج بين الذات واللاذات ، وتداخل في وحدات الزمن وهذه هي قدرة الشاعر الفنية في محاولته الوصول الى مركز الاشياء والحقائق . وهذه المحاولة هي رغبة صافية . وهي اللذة الجمالية التي تحدث عنها ( سانتيانا ) بانها لذة الإنسان في ان يفرض مركزه واهامه على المراكز . ومن المؤكد ان هذه اللذة ليست مجرد غزوة او تسليات لا اكثر ولا اقل ، بل هي مرتبطة اساسا بجهد الانسان في تحسين عاله : ( اللسعة الكبرى ) . ولذا فان اعادة النظر تظل دائما نهجا او تجاوبا بين الشاعر والعالم . وهذه ( الاعادة ) نفسها تولد في الفوضى حيث يعمد الشاعر وبحكم حالات غيابية مرهونة برؤى ثاقبة الى نسيان وجود الاشياء والاشخاص . وهذا النسيان كتدوير للكينونة القائمة من اجل اثبات كينونة جديدة . ان الكينونة الجديدة التي يطمح لها الشاعر هي خلق وهي مغامرة ، لذلك فمن غير الممكن استجواب الشاعر واخضاعه لاستنطاق لا منطقي . ان منطق الشاعر الوحيد هو الابتعاد عن تلك الموجودات ( ساعة المغاض الشعري ) . وسواء اكان هذا الابتعاد انجاسا وتوحيدا منكمنا نحو الداخل فقط او تحررا من المحدودية والشخصانية والداخل ، فهو طبيعي ومنطقي . وهو اختيار . ولكن هذا الاختيار ليس اختيارا ماورائيا او فوق العالم ، انه اختيار في العالم . ومهما تكن انفلاقات الشاعر وصيواته الحلمية او التخيلية ، فهي مربوطة ابدا بالعالم ، بالماضي والحاضر والمستقبل . ان ( مالارميه ) الذي قدم شعرا خالصا كموسيقى لفظية تتحلل من المضامين والعقول ، لم يستطع ان يخفي انه العجيب لوت اخته . ان العلاقة بين الشاعر والعالم تفتح منها منظورات العمل الشعري . ومهما تكن هذه المنظورات فهي نفسها استنشاف للعالم وللموضوعات العدة والموروثات القائمة . واستنشاف ضد كل الزيف والاهتمامات السياسية التي اسهمت نوعا مافي موت حريات كثيرة . وهذا الاستنشاف يحمل طقوس الادانة كدين . وكما يقول ( بيرس ) : ( ومن الحاجة الشعرية - وهي حاجة روحية - ولدت الاديان نفسها ، وبالنفحة الشعرية تحيا الشرارة الالهية الى الابد فسي زند البشر ! )

عزير السيد جاسم

بغداد